الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦١ ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — أول أغسطس سنة ١٩٣٩ السنة الثالثة

فهرس العـــدد

صفحة			
٧٣٠	آدم آخر	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ رضوان شهال ...
٧٣٩	النـــل الكبير	« «	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٧٤٥	القبلة	للقصصي الروسي أنطون تشيكوف	بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي
٧٥٠	وكنت أريد قتلها	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٧٦٢	أقرب من الخيال !	« «	بقلم السيدة ناصر عزيز منصور
٧٦٨	سوء تفاهم	للكاتب الفرنسي أندريه موروا	بقلم الأديب محمود البرسي ...
٧٧٨	مستحيل	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

آدم آخر

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ رضوان شهال

ودوى مزمار بائع التذاكر معلناً أولى قاطرات الصباح ، فانقضّت يد العم إبرهيم على المقود النحاسى الباهت ، واندفعت القاطرة تسابق سيول الأمطار المتدفقة على حضيض الشارع المقفر !

كان الفجر قد انبثق منذ برهة؛ غير أن الظلام وقد التجأ إلى ظلال الأبنية ومنعطفات الأزقة ، كان لا يزال يصارع ذرات النور التي كانت تنفثها فى الفضاء الأغبر جوانب الأفق !

واطمأن العم إبرهيم إلى قاطرته الجامحة فى صراطها السوى ، فأفلت المقود وتناول من جيبه العلبة السوداء حيث كان يدّخر لفائف التبغ تخفيف أنامله فى ساعات الفراغ . وأشعل منها واحدة وعاد إلى شأنه بعد أن مكّن الصاية الملتفّة حول طربوشه الأسود وجبينه وأذنيه . فقد كان الصقيع على أشد ما يكون فى تلك الصبيحة القارسة من آذار وأرياح الفجر ما تكل من صراع القاطرة العنيدة ، وقد راحت تمعن فى فلولها المولولة شاقة سبيلها فى صميم الدغش على ضوء مصباحها الهادى

وكأنما آنس العم إبرهيم من كآبته المزمنة ميلاً إلى الانكفاف فى قرارة نفسه ، فأطلق للقاطرة عنانها غير عابئ بالشارات الحمر ، وغير حاسب لداهمات المفتش حساباً ، وراح يحدق دون ما وعى إلى الصراط الحديدى اللماع وقد خيل إليه لأول وهلة أنه ثعبان من ثعابين الفجر ، فاجأه الصقيع وتركه جثة باردة فى مقتحم العجلات الطائشة المربدة

ولقد انقضت خمس عشرة سنة والثعبان مازال فى مزدحم العجلات ، يمتد كلما استقام الشارع أمامه ويستطيل كلما صار إلى منعطف . والعم إبرهيم لايزال منذ خمس عشرة سنة يجرى وراءه وهو لتعاقب الليل والنهار ، كأنما ينهب الأرض فى سبيل لا حد له ولا نهاية

هذا ما كان يراود مخيلة صاحبنا فى ذلك الصباح الكئيب لدى هذا التصور الغريب . ولعله كان محقاً فيما قد خُيّل إليه أنه رأى

أو لم يكن الثعبان الأرقط أول من استدرج قدميه إلى هذا المصير ؟

أو لم يُطوّح بالإنسانية الأولى فى قديم الزمان فأودى بها من خمائل الجنة إلى جرداء الأرض يوم كانت الأرض لا تزال نطفة من جهنم ؟

غير أن الجد آدم كان أوفر حظاً وأسعد آخرة من حفيده إبرهيم ، فلقد رضى الله عنه فى آخر

الأمر فأعاده من وساوس الثعبان وأعاد إليه فردوسه الضائع !

* * *

ويرجع صاحبنا إلى ذكريات سحيقة لم تستطع كأس العرق فيما مضى أن تمحو أشباحها من مخيلته وأن تذر على وجهها بعض الرماد . بل إن كأس العرق الناصع كانت أقرب ما تكون في ذهنيّته إلى جو تلك الليلة المقمرة من ليالى الربيع

فلقد كان ذلك فى ليلة مقمرة من ليالى الربيع وفى جنة من جنان صيداء ، عند ما قدِّر على إبراهيم أن يضيع إلى الأبد فردوسه وحوّاءه

ليلة أنصع من براعم الليمون وأنقى من فضة القمر وأندى من حشائش الجنة . غير أن الثعبان الأزلى أبى إلاّ أن ينفث فيها سمّه الناقع ، وإذا فضة القمر نجيع ، وإذا الجنة بلقع أجرد

وها هى ذى الذكرى الأليمة قد طفت على سحنة العم ابرهيم الكئيبة المنقبضة . فلندعه يسر بقاطرته مستعرضاً مراكب أيامه الخاليات ، وقد أخذت تتتابع أمام عينيه ، على زجاج القاطرة الموشوم برذاذ الأمطار المنهمرة

* * *

فتح إبرهيم عينيه للوجود وهو لا يعرف له أمّا ولا يعرف له أبا . فقد انتزعه الأثيمان من أحضانهما وطرحاه لرحمة الصدف فى إحدى ليالى كانون العاتية عند بوابة بستان الحاج أبى سليم

ويشاء ربك أن يحل الرحمة فى قلب هذا الحاج فيحتضن اللقيط ويتبناه ، ويذهب فى العناية به كل مذهب هارقاً على قدميه آخر ما أبقته الشيخوخة فى قلبه الذابل

وينشأ إبرهيم ويترعرع وهو لا يعرف من حنان الأم ورحمة الأب غير رحمة الغريب وعطفه

ورغم هذه الرحمة وهذا العطف ، كانت العشرون سنة التى قضاها إبرهيم فى كنف وليه الحاج سبحة من الآلام والمشاق والمتاعب

فمن ذلة اللقيط وسخرية الرفاق فى مدرسة الحى ومن شر الأستاذ وشر قضيب الرمّان ، إلى حياة فى البيت مضطربة ، ليس فيها دفء لقلبه الصغير ولا طمأنينة

وإلى ذلك ليال باردة سوداء كان يقضيها وحيداً إلى قرب الموقد فى الكوخ الموحش . وكان عليه أن يحيا فيه الليل كله ، يحرس البستان من شر أبناء الحرام

وعند الفجر صقيع يفل حديد المسمار ، وأرياح حانقة لا تبقى ولا تذر ، وجليد يشل الساقية ، وهو بين ذلك يودى بكفيه فى مخاوض الماء ، يغسل قطاف الليمون المتراكم على مقربة منه ؛ ويزفه بعد ذلك إلى الصناديق الخشبية المرصوفة هنا وهناك أمام بوابة البستان العتيقة

وفى الربيع ، والصيف ، والخريف وحدة قاسية تغمر فضاء نفسه ، وهو يعمل أبداً « فى البستان القفر ، ما بين سقى الطاعيم وتفريع الأغصان المجدبة ، واستئصال طفيلى الحشائش ، أو ساعيا

وراء أجام البقلة يبتغيها طعاماً للعشاء

غير أن حادثاً ما لبث أن لوى السبيل أمام وجه ابرهيم وانتزعه من أقنية هذه الحياة ذات الوتيرة الواحدة

كان ذلك ليلة أبصرت عيناه للمرة الأولى أمون الفاتنة خادمة البيك . فقد استدعاه هذا ليطرب الحضور فى عرس ابنه البكر . ولطالما سمع البيك عن ابرهيم وعن صوته السحرى الجميل

وغنى ابرهيم فى تلك الليلة . وكان غناؤه أحسن ما يكون فى آذان السامعين . وكان أحسن فى أذن أمون منه فى أى أذن أخرى . فلقد سربلها وتغلغل فى أعماق أعماقها مستبيحاً كل ما خفى فيها من طلسم وما ووري فيها من دفين

ولم يخف على ابرهيم فى تلك الليلة الزاخرة من أمرها شىء ، ولعلها أدركت هى من أمره كل شىء أيضاً . ولقد كانت تلك اللحظة الشاردة فى مجاهل الصدف ملتقى سبل فى صراط حياة الاثنين ، ملتقى سبل لم يمكثا فيه إلا ما تدوم النظرة الخاطفة وأختها ، ليصيرا بعد ذلك إلى حيث كانت تستحثهما سياط حبهما الوليد

وكأن مظاهر النعمة المسبغة على منزل البيك ما لبثت أن استهوت ابرهيم . وإن الحب لسكافر أعمى . فى إحدى الأماسى غادر منزل وليه على ألا يعود إليه ، وعبثاً حاول الحاج أبو سليم أن يستقطر الرحمة من قلب ربيبه العقوق ، وعبثاً حاولت شيخوخته المتعمدة أن تستدر منه بعض الحنان

وكان أمراً مقضياً . وإن أمون لعلى مقربة منه ، وإن عيشته لراضية

وهكذا شعر ابرهيم المرة الأولى منذ أن فتح عينيه للوجود ببصيص من الأمل المشرق يخترق ظلمة حياته ، وبشعاع من السعادة يتلمس كآبة نفسه ويبث الدفء فى زواياها الرطبة

وللمرة الأولى أيضاً شعر بالطها نينة الحلوة تغمر فضاء قلبه وتطغى على وحدته القاسية

وتناسى ابرهيم آلام أيامه ولياليه الخاليات !

غير أن الثعبان ! الثعبان الأزلى أبى إلاَّ أن يفاجئهما فى إحدى الليالى وهما فى الخلوة الأولى من أيام الغرام المعدودات . وقد انقضى الهزيع الثانى من الليل ورقد منزل البيك على نهود عرائس الشجر المضمخة بعبير زهر الليمون . وقد هدأ الليل إلا من صفير الريح ونجوى الحبيبين

وعبثاً حاولت أمون أن تتمنع ، وعبثاً حاول ابرهيم أن يرتدع ، وكأنما بخور التراب المنبثق من رحم الأرض ، وكأنما نفح الهواء المضمَّخ ، وكأنما فضة القمر السحرى قد تواطأت على العاثرين فى تلك الليلة الحلال ، وراحت تلهب مشاعرهما بلوث الشهوة الحمراء .

وكان لا بد لآدم أن يقاسم حواء تفاحتها المحرمة فعمل ومضى فى سبيله تاركاً حبه الفتىَّ النضر ، أشلاء ممزقة على حضيض البستان بين أكوام البراعم المحتضرة ضحايا النسيم الأرعن الماجن

وكان لا بد للربيع أن ينقضى فانقضى وغمره

النسيان ، ومرّ الصيف وغمره النسيان أيضاً .

وها هو ذا الخريف قد بدت طلائعه وأخذت أرياحه العاتية تعصف في أرجاء البستان ، وتبث بخضرته الذابلة المصفرّة ، هشيماً إلى هوة العدم

ولقد دبّ الخريف إلى قلب ابرهيم أيضاً ، فها هو ذا حبه القديم جثة صفراء باردة ، وما هي إلاّ أن تهب الأرياح وتذروه هشيماً إلى هوة العدم أيضاً

أما أمّون العاثرة ! وأنى لها أن يعصف الخريف بما قد أثمر الربيع في أحشائها ، فقد هرعت إلى ابرهيم تستحلفه باسم غرامهما وتتوسل إليه أن يقاسمها ضرّاء حملها كما قاسمها السرّاء . إلاّ أنه سرعان ما تنصّل من الأمر وجحد كل ما كان بينها وبينه متحللاً لذلك شتى الأعذار

أوليس من الممكن أن يكون أحد أنجال البيك قد أنشب مخوله في هذه الأرض المشاع ؟ ولمَ يحملُ وحده تبعة الأمر وهو البستاني المملق الذي لا يملك شروى نقير ، وما دام البيك في سعة من النعمة يستطيع أن يحل هذه المشكلة التي قد يكون لأحد أنجاله أصبع في عقدها

غير أن شيئاً لم يكن قط في حسبان ابرهيم . فقد أوى في مساء أحد الأيام إلى المنزل وسمع في عائلة البيك همساً ، وإذ استفسر من أحد الخدم ، أخبره هذا أن أمون قد هربت في المساء بنفسها إلى حيث لا يعلم أحد

وانقض التبا على ابرهيم كالصاعقة ، وأدرك غور الهوة التي قذف بأمون إلى أعماقها . ولقد قضى الليل كله هائماً على وجهه في الأزقة وشواطئ البحر وضواحي المدينة ، يبحث عن أمون ويسأل عنها المارة إلاّ أن محاولاته كلها ذهبت أدراج الرياح ...

* * *

كلا ! لم تذهب محاولات ابرهيم كلها أدراج الرياح . فقد عثر على أمون أخيراً . وكان ذلك في ليلة حالكة من ليالي الشتاء . وكان اليأس قد طغى في قلبه كأشد ما يكون ، وقنط من العثور على ضالته فراح ينشد عزاءه بين كأس من العرق وأحضان بنت هوى

وتشاء الصدفة التي جمعت بينهما المرة الأولى أن تجمع بينهما مرة ثانية . وكانت بنت الهوى المختارة لهذه الليلة أمون العاثرة

لم يصدق ابرهيم ما رأت عيناه . وخيّل إليه أنها رؤيا كالرؤى الأخر التي باتت تلاحقه منذ اقترف خطيئته تلك الكبرى . ولكن سرعان ما أرجعته إلى الحقيقة المؤلمة قهقهة أمون وقد راحت تتلوى عارية على فراشها المضمّخ ، وتنفث طيبها الفوّاح في أرجاء الغرفة العابقة بوهج القنديل الأحمر

إنها أمون بعينها . وأطرق ابراهيم تعباً خافض الجناح ، مثقل القلب ..

— نعم أمون بعينها يا إبراهيم ! ولكن شتان ما بيني وبينها أيضاً ! أليس كذلك ؟

وانفرجت شفتاها القرمزيتان عن ابتسامة ساخرة منكرة . وامتد ساعدها إلى المنضدة بقرب السرير وتناولت المرآة . وراحت تسرح أنظارها

في أرجاء جسدها المنسجم الموهوب .

— أنت على حق يا إبراهيم ! ولعلها المرة الوحيدة . أجل ! لقد تغيرت كثيراً عما قبل ... فها قد أصبحت أنهد صدراً ... وأثقل ردفاً .. وأدق حاجباً .. وألمع هدباً وأزهى شفة ... وأشهى للوصال ... وها هو ذا الذهب يشع في أناملي ، وساعديّ وأذني ، ومن قبل كنت لا أعهد غير الحلي الزجاجية التي كنت تتفحني بها من حين لآخر ... ها ... ها ... ها ... ها . ألا تذكر ؟ ... أما روائح البصل والثوم فقد استبدلتها بهذه الطيوب الشهية ... أو لا يتفتح قلبك لها ؟ قل لي بربك ... ولكن ما بالك صامتاً لا تتكلم ؟ قل ، لا تستحِ ... قل ما يبدو لك ... حدثنا عن صيداء ، وعن لياليها المقمرة ... في أيام الربيع ... وعن زهر الليمون ... والنسيم العليل ... والمستقبل الزاهر الجميل ... أو عن « العرزال[1] » الذي ستبنيه في شجرة المشمش ... لعروسك ... فقد سمعت حقاً أنك ستتزوج عما قريب ... أصحيح ما يقولون ؟ أو حدثنا عن البيك وزوجته أو عن نجله . أو لا ترى أنه نادم على ما قد فعل بي ؟ .. ها ! ها ! ها ! ها ! ولكن ما بالك ؟ حقاً لقد أصبحت غريب الأطوار يا إبرهيم ... تعال داعبني على الأقل ... وإلا فلأي شيء أتيت ؟

— لأي شيء أتيت ؟

ونهض إبراهيم كمن مسته جنة ، وأهوى بكفه على وجه أمون بصفعة رادعة أليمة !

(١) العرزال بيت يصنع من الأغصان والورق ويبنى في الشجر .

— جئت لأتمتع بمرأى هذه الدمعة تنحدر من مقلتك ، أعرفت لماذا أتيت ؟

صدمة عنيفة أعقبتها زوبعة جامحة ، زاخرة بشتى العواطف وشتى الأهواء .

وكانت أمون تنتفض على فراشها حتى القدمين وقد انهمرت الدموع من عينيها كأشد ما يكون ، وتوالت الشهقات من صدرها مجفلة . . . متقطعة ، لاهثة ...

واقترب منها إبراهيم وعانقت ذراعاه جسدها وراح يتلقط بشفتيه المستغفرتين حبب الدموع المتحدرة على وجنتيها وعنقها وصدرها والكتفين .

— عفوك يا أمون . لم أستطع أن أفعل غير ما فعلت . إني ما أزال أحبك : أحبك أقصى ما يستطيع رجل أن يحب امرأة . ستة أشهر يا أمون طفت بها المشارق والمغارب أبحث عنك في كل زاوية وفي كل مخبأ حتى كانت هذه الليلة السعيدة ... أنا مخطئ يا أمون ، ولكن أو تعرفين من البشر من لم يخطئ ؟ وقديماً أخطأ الحاج أبو سليم في رحمته لي ، وكان عليه أن يدعني عند الساقية حتى مجيء الزوبعة وتنتزعني جثة باردة من قبضة الوجود . وأنت ؟ ألم تخطئي ؟ ولقد نال كل منا نصيبه من العذاب . ولقد طهرتك دموعك وطهرتني ، فهيا ندخل طاهرين إلى جنتنا الصغيرة ، ولتغمرنا الأيام بعد ذلك ، ولتطونا في غياهب النسيان ! إضحكي لي يا أمون ، فقد مضى زمن طويل لم أر فيه أسنانك اللؤلؤية !

وابتسمت أمون وغمرتها سكينة هادئة عميقة وكأن هذه الموجة العاطفية التي اجتاحتها منذ

حين ، ما لبثت أن لمست فى قلبها الحد الأقصى ، وإذا بها ترتد فجأة على أعقابها وتبعث فكرة صارخة : لقد حطم هذا الفتى كبرياءها فى المرة الأولى . وها هو ذا قد أجهز عليها مرة ثانية ، وقد يعبث بها مرة ثالثة ورابعة ، ولكن لن يحطمها إلى الأبد

لا ! لن تعود إليه ! لقد بدأت قصتهما فى تلك الليلة من ليالى الربيع وانتهت هناك ويجب أن ينتهى كل شىء بينهما . فليالى الشتاء قد نسخت ليالى الربيع ، ودفنت معالمها فى ثلوج النسيان . لا ! لن تعود إليه ! بل سوف تسحق كبرياءه وتجعله عبداً لها

أجل ! سوف تغرق قداسة حبه فى لجة حبها الدنس الأثيم ، وتبعث بشيطان شهوتها ساعياً فى كل أرجاء جسده ينهش العافية المزدهرة والشباب الغض وينفث سمه فى معالمه الخضر حتى تستحيل إلى قاع صفصف ، ثم تلفظه بعد ذلك بعيداً إلى حضيض الشارع هيكلا متهدماً قذراً ينهشه الجوع ويلذعه البرد ...

وكأنما هذه الفكرة الجهنمية ما لبثت أن طغت على كل مشاعر أمُّون ، فإذا بها تنقلب فجأة إلى حيث كانت فى مجونها الساخر وعبثها المستهتر

وتملصت من ذراعى إبراهيم وشفتيه ، وانقلبت إلى أقصى الفراش تتمرغ على حشيته الوثيرة الدافئة وتبعث النداء إلى جسد إبراهيم صامتاً صارخاً ، وبكل ما يستطيع نهدها الربح وبطنها الخافق وهدبها الرتمش ، وبكل ما تستطيع الطيوب المنبثة من جسدها الشهى اللعوب

وكالمرة الأولى حاول إبراهيم أن يرتدع . ولكن سرعان ما أسدلت على بصيرته السجف فهوى على فراش أمُّون ، والتحم الشقيان فى وصال عاصف طويل ...

— تعال يا حبيبى ... واجعلنى قطعة منك ، تعال ... وانتظر عند الباب عشاق الآخرون

— ماذا تقولين ؟ ... عشاقك ؟

— أجل ! أولا تسمعهم وراء الباب يختصمون ها ! ها ! ها ! ها ! ولكن .. ابرهيم ، ما أصابك ؟

— ستكونين لى وحدى ... لى وحدى ... لى ...

— كلا ! لن أكون لك ...

وجنّ ابرهيم . وحاولت أمون أن تستغيث ، إلا أن يمناه كانت أسرع إلى فمها . وأطبق بالأخرى على عنقها ، وراح يخنق أنفاسها المستغيثة الهلعة .

— سوف لا يتمتعون بعد الآن ... عشاقك الآخرون ...

ولما نزع ابرهيم كفه كانت الحشرجة الأخيرة تنبعث من أعماق أمُّون ، وكأنها هزيم ريح صرصر عاتية ! ...

وفجأة قرع الباب ! وبأسرع من لمح البصر هرع ابرهيم إلى النافذة فتسلقها وهبط إلى الشارع المقفر وتغلغل فى الظلمة حيث اختفت أشباح الأبنية ومداخل الأزقة الحالكة .

* * *

والقاطرة ما تزال جامحة فى صراطها السوى ، وأرواح الفجر ما تزداد إلا صخباً . وسيول الأمطار ما تزال تتدافع على حضيض الشارع المقفر واللفافة الرابعة أوشكت أن تنتهى ، وما هى إلا أن تلحق بأخواتها الراحلات ...

خمس وعشرون سنة مرّت على هذه الفاجعة ، وكأنها كانت البارحة ، وكأنها منذ لحظة . فكثيراً ما فاجأت ذكراها مخيلة العم ابرهيم . فأقضّت عليه مضجعه أو عكّرت عليه صفو ساعة هادئة أو أيقظت فى مشاعره الراقدة إلى حين ذكرى الشباب المعقوق الخائن المجرم .

ولكم حاول فى خلال السنوات الأول أن يدفع عن نفسه شر هــذه الرؤى . فراح يعاقر الخمر ويستعيض عن دنياه بدنيا أخرى من ضباب الحشيش والأفيون . غير أنه ظل أبعد ما يكون عن الفلاح . فكأنما الله قد حتم على عبده أن يجعل شبح أمون أبداً أمام عينيه ، يصطحبه أينما حلّق ، وحيثما حلّ ، وأنى اتجه ...

فى ذلك الحين اندلعت نيران الحرب الــكبرى . وخيل إلى ابرهيم أن أبواب الفرج تفتحت أخيراً أمامه ! وبين جماهير الألوف من الوجوه القطبية والوجلة والدامعة السائرة فى موكب الرديف الزاحف إلى الجبهة ... كان وجه ابرهيم الوجه الوحيد الذى تهلل للواقعة واستبشر خيراً !

ها قد دنت اللحظة الرهيبة المنتظرة حين تبعث كبرياء ابرهيم لتهمس فى أذن ضميره كلمة الخلاص : « ها قد كفّرت عن خطيئتى » ثم لتدخل راضية مرضية إلى قدس أقداس الطمأنينة !

وراح ابراهيم يجد فى طلب هذه اللحظة الغالية فى أول صـفوف القتال ، وفى مخاطر التجسس ، وفى كل ما يستشعر عنده الخطر . لـكنه ظل أبعد ما يكون عن الفلاح أيضاً . فقد انتهت الحرب ، وعاد ابرهيم كما ذهب .

وأخيراً ، ولما أعياه الأمر ، استسلم لمشيئة الأيام علّها توفق إلى ما لم تقو عليه الحيل الأخرى

ولقد كانت الأيام أرفق الجميع به فاستطاعت فى فترة من الزمن يسيرة أن تخرس فى سمعه صراخ ضميره المشوش ، وأن تهديه إلى الصراط المستقيم !

أجل فلقد أوصله الصبر والهدوء اللذان فرضهما عليه استسلامه ، إلى حقيقة منطقية كانت حتى تلك اللحظة ضائعة فى ظلمة مصيبته

هذه الحقيقة هى أن العم ابرهيم برىء كل البراءة مما قد اتهم به نفسه

لا ، ليس هو الذى جحد فيما مضى وليه الحاج أبا سليم ، ولا هو الذى قذف بأمون العاثرة إلى هوة العدم !

كلا ! إنما هو شخصية وليدة ، شاء القدر أن يجعلها آخر حلقة من سلسلة تلك الحياة الطائشة !

أما المجرم الحقيقى ، فهو ابرهيم القديم ، ابرهيم الفتى الناشم المجنون ، ابرهيم الذى ما يزال ألزم له من ظله ومن الثوب الذى يرتديه ، والذى ما يزال حياً يعيش فى هيكله ، ويسير بقدميه ، ويلمس بيديه ،

ويتنفس بصدره ويحس بمشاعره

ابرهيم ! تلك الجبلة من الطين المعجونة بنزيز الإثم والتي قد حدرتها صروف الزمن حتى الدرك الأسفل من بهيميتها ، وإذا هي هيكل من الرجس ، وإذا هي سجن مظلم ، لا ترجع جدرانه الصماء سدى للرحمة المستغيثة ولا للانسانية المستجيرة

* * *

وهكذا شعر ابرهيم بوطأة هذا السجن وأضحى هدفه الأوحد أن يحطم جدرانه ، ويطلق نفسه السجينة نحو مهابط الطلّ نينة

أجل ! يجب أن يسحق هذه الطينة المعجونة بنزيز الإثم ويردها إلى رحم الأرض فتيأ من التراب ، ولكن عن غير السبيل الذى سلكه فيما مضى يوم طلب الانتحار مكللا بالعار تحت راية الاستشهاد

فقد كان يومئذ لا يزال قريب العهد بالفاجعة ، والذكرى وقتئذ كانت على أشد ما يكون وطأة فى قلبه القانط

أما الآن فلم يعد له قلب . أو قل إن الأيام قد استنزفت من قلبه هذا آخر نقطة من رحيق الشفقة والرحمة .

وهل بلغ به الجبن أن يجرع كأس العذاب جرعة واحدة ، والعمر أمامه طويل بأصباحه وأمسائه وأيامه ولياليه ؟

وهل بلغ به الجبن أن يتجنب الألم ، والألم كان أول ما شهدته عيناه . وحياته كلها كانت سلسلة من الآلام !

ولم لا يجعل الآخرة جحيماً أيضاً ؟ لا بأس وليكن هذا كفّارة عن تلك الليلة من النعيم

وراح العم ابرهيم يقدم نفسه قرباناً على مذبح الألم ، وانداً جسده بين قضبان القاطرة الغاشمة ، ذلك الصراط القفر الذى يشق سبيله فى صميم الحياة اليومية الصاخبة .

خمس عشرة سنة كانت حقّاً أشدّ هولاً من الجحيم وأطول من صراط الحشر . ولقد قضاها العم ابرهيم شجاعاً رابط الجأش ، رغم المتناقضات الأليمة التى حتمتها عليه مأساة حياته

جسد بال يعمن الألم فيه حتى الغيبوبة ، ونفس جبارة هوجاء لا يسكرها غير رحيق الألم ، ولا تطرب إلا لحشرجة العذاب ، والعم ابراهيم بين ذلك يبكى مرغماً مع جسده العاثر ، ومرغماً يقهقه مع نفسه السكرى ، وهو فوق ذلك وفوق هذه الحياة النفسية المضطربة ، هادىء مطمئن إلى بياض عنها كل الرضى

خمس عشرة سنة كانت نفياً مؤبداً على هامش الحياة ! ولقد قضاها العم ابراهيم صابراً أمام مقوده النحاسى الباهت ، ليقود الحياة نفسها فى كل صباح وفى كل مساء ، وهو كأنما لا يقود غير نفسه التائقة إلى مستقر من الحياة بعيد .

خمس عشرة سنة ، كانت صحراء من الضجر ، تغمرها الوحدة ويكتنفها الصمت !

أو ليس هذا السبيل الصراط الأوحد الذى لا بد أن يقوده يوماً ما إلى المرفأ الأمين ؟

* * *

(٢)

والقاطرة ما تزال جامحة فى صراطها السوى ، وأرياح الفجر ما تزداد إلا صخباً ، وسيول الأمطار ما تزال تتدافع على حضيض الشارع المقفر

أما اللفائف فلم يبق منها فى العلبة السوداء غير فتيت مبعثر

وفجأة استولى على العم ابراهيم ذهول غريب وأحس برعشة هادئة حلوة تدب فى أرجاء جسده ، وشعر كأنما نور مشرق ساطع قد أخذ يبدد دغش الصباح ، وكأنما الفضاء قد عج بأجنحة بيضاء ذات رفيف ...

وانعقل لسانه أمام هذه الرؤيا الشرية ، وضاع فى بصيرته الذاهلة كل إدراك ويقين بما يحيط به؛ غير أن وميض الصراط الحديدى ما لبث أن أرجعه إلى الحقيقة ، وإذا القاطرة على قيد كرتين أو أدنى من نهاية الخط . وبأسرع من لمح البصر ، أهوى بكفه على المقود النحاسى فشلّ حركة القاطرة ، وإذا بالعم ابراهيم يترنح وقد زعزعته الصدمة . . . وخرّ على الأرض جثة هامدة !

***

وفى مؤخرة القاطرة كانت صفارة بائع التذاكر تلمع بين عويل الريح وصخب المطر معلناً آخر المرحلة !

رضوان شهال

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

ص

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

ليلى المريضة فى العراق

كتاب يفصّل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ، ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع وسرائر القلوب فى مصر والشام والعراق .

يقع فى ثلاثة أجزاء
وثمن الجزء ١٢ قرشا
ويطلب من المكتبات الشهيرة فى البلاد العربية